مراقبة الله خارج الصلاة

وكما أن الخشوع في الصلاة لازم، فكذلك خارج الصلاة، فمن عرف أن الله سبحانه وتعالى هو الرقيب، راقبه في السر والعلانية، لأنه مطَّلع على ما في السرائر والقلوب. ويقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾[1].

حتى قال بعضهم: ينبغي للعاقل أن يحفظ النَّفَس عن الغفلة عند دخوله وخرجوه ليكون قلبه حاضراً مع الله تعالى في جميع الأنفاس، لأن كل نَفَس يدخل ويخرج بالحضور فهو حي موصول بالله تعالى، وكل نَفَس يدخل ويخرج بالغفلة فهو ميت مقطوع عن الله تعالى.

وقال أبو بكر الكتاني: «كنت بواباً على باب قلبي أربعين سنة، وما فتحته لغير الله تعالى حتى صار قلبي لم يعرف غير الله عَزَّوَجَلَّ».

---

(1) سورة طه، الآية: 46.

ولما جاء محمد بهاء الدين رحمه الله من الحج قيل له: حدثنا بأعجب ما رأيت في سفرك هذا. فقال: «لقيت شاباً في سوق منى قد اشترى وباع بخمسين ألف ديناراً وما غفل عن الله طرفة عين، ولقد خرج مني الدم غيرة منه».

ومما روي عن ابن سيرين عندما أتى إليه رجل يسأله موعظة تنفعه في دنياه وآخرته فقال له: «إذا أردت أن تعصي مولاك، فاعصه في موضع هو فيه لا يراك». فكان هذا الرجل كلما هم بارتكاب ذنب، أو اقتراف معصية تذكر هذه الموعظة وقال في نفسه: «الله معي، الله ناظر إليَّ، الله شاهدي» فيمتنع عن معصية مولاه، التي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وحكي أن رجلاً تعلق قلبه بامرأة، فخرجت تلك المرأة في قافلة إلى حاجة لها، فذهب الرجل معها، فلما خلا بها في البادية ونام الناس أفشى سره إليها. فقالت: انظر أنام الناس أجمعهم؟ ففرح بقولها وظن أنها قد أجابته. فقام وطاف حول القافلة فإذا الناس نيام، فرجع إليها وقال لها: نعم هم نيام. فقالت له: ما تقول في الله تعالى أنائم في هذه الساعة؟ فقال: (إن الله لا تأخذه سنة ولا نوم) فقالت: إن الذي لم ينم يرانا وإن كان الناس لا يروننا فذلك أولى أن يخاف منه.

فتركها الرجل خوفاً ممن لا تغفل عينه لحظة عن ملكه، وتاب إلى ربه وندم على ما فرط منه في حق الله.

قال عبد الواحد بن زيد: «ركبنا البحر مرة فوصلنا إلى جزيرة فوجدنا رجلاً فيها يعبد من دون الله صنماً، وهو يفقه كلام العرب. فقلت له: إن هذا الصنم لا ينفع ولا يرفع ضرراً. قال: فما تعبدون أنتم؟ قلت: نعبد الله الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء. قال: فما أعلمكم بهذا الإله؟ قلت: بُعث إلينا رسولٌ اسمه محمد ﷺ وأنزل معه كتاب فآمنا وصدقنا به، وتوفاه الله إليه، وهذا الكتاب عندنا. فقال: أوقفني على ما جاء به، فإن كتاب الملك لا يكون إلا كتاباً حسناً. فقرأت عليه شيئاً من القرآن فتأثر وخشع قلبه وبكى، ثم قال: هذا كلام من لا يعصى وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فحملناه معنا في السفينة وعلمناه الصلاة وقواعد الإسلام، وكان معنا إلى الليل فبعد أن صلينا العشاء أخذنا مضاجعنا للنوم. فقال: وهذا الإله الذي دللتموني عليه ينام؟ قلنا: بل هو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم. فقال: بئس العبيد أنتم، عبيد ينامون عن خدمة مولاهم وهو حي قيوم لا ينام. ثم قام فصلى الليل كله ولم يزل كذلك حتى وصلنا إلى البلد التي نقصدها،

فجمعنا له دراهم وأتينا بها إليه وقلنا له: خذ هذه الدراهم لتستعين بها في مصالحك. فقال: سبحان الله كيف تدلوني على الطريق وأنتم لم تسلكوه؟ إنني كنت أعبد غيره وهو يرزقني، فكيف يضيعني وأنا أعبده؟ ثم لزم العبادة ومرض فأتيته وقلت له: ألك حاجة فأقضيها لك؟ قال: قضى حاجتي الذي جاء بكم إلى الجزيرة وكنت لا أعرفه. فقعدت عنده ساعة حتى توفاه الله إلى رحمته.